Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما نحن فنقول . إن مثل قول الجاحظ لا يقل بلاغة وروعة عن ذلك النظم السابق ، وأن قل عنه فى دقة الصنع وكثرة التصرف ، وفرق كبير بين درجات النظم ودرجات البلاغة على أن مرجع البلاغة إلى التأثير ، وأصابة الغرض ، وذلك كما ينشأ عن براعة النظم ودقة الصنع ، يجىء بحسن الاستعارة وروعتها ، ورشاقة الألفاظ وحلاوتها ، وبكثرة مائها ، وصفاء ديباجتها ، ولطف مواقعها وحسن دلالتها .

ألا وإن للسذاجة حظها من القبول والحلاوة ، وأن للبساطة موقعها وأثرها فى القلوب ولدى الطباع ، إذا أصيب بها موضعها وأحسن لها ما يلائمها ، وهو حظ لايقل عن حظ النظم الدقيق ، والصنعة العجيبة . وذلك شأن المصنوعات التى اكثر الشيخ من القياس عليها ، ترى منها ما قد يكون جماله وظرفه فى قلة تركيبه ، وسذاجة تأليفه ، وبعده عن كثرة الصنعة والتفنن ، ومنها ما يكون شرفه وفضله فى دقة تركيبه ، وكثرة التصرف فى اجزائه وصوره ، ولكل من هذيه مجال ، وحظ مستقل من الجمال ، ولو أنك أحلت فجعلت كلاً فى صورة صاحبه ، لربما ضاع الجمال منهما معا ، وسقطت قيمتهما فى آن واحد ... وهكذا المعانى وصورها ، منها مالا ينقاد لدقيق الصنعة وكثرة التصرف . فلو أكره عليها ذهب رواؤه وغاض ماؤه ، لأن طبيعتها لا تقبل التركيب ، ولا تبدى عن حسنها إلا مع السذاجة ، ولو أنك قلت للشيخ عبر – وهو القدير على التعبير – عن معانى الجاحظ بعبارة فيها من دقيق الصنع مافى المزاوجة أو التقسيم أو المقابلة ، وسائر فنون الصنعة الفاخرة لخانه التوفيق ، وجاءت له فى وضع متكلف لا يحسن العبارة عن المعنى المراد .

نعم ، المجهود فى الأول أشق ، والصنعة فيه أدق ، ولكن المجهود والصنعة شيء ، والبلاغة والطلاوة شيء آخر .

فالأسلوب الذى لم يرق عبد القاهر ليحتاج إلى كثير من المهارة والدقة فى حسن اختيار اللفظ ، وصقل الأسلوب ، وربط المعانى وهى مهمة لا يسلم عليها إلا أرباب الطبع السليم ، والحس اللطيف .

والقرآن الكريم أصدق شاهد فى هذه القضية ، فأنه فى أكثر سوره وآياته ، لايعدل بهذه الطريقة شيئا . فيعرض المعانى فى صورة طلقة سلسلة، وعبارات سهلة مطبوعة